

أساطير وحكايات

الرّاعي العجوز والملكة نفوس

دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

الرّاعي العجوز والملكة نفوس

تأليف : محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

خرج الراعي العجوز مبكرا من كوخه ودخل الى زريبة الماشية يتفقد أحوالها قبل أن يخرج بها الى المرعى كعادته كل صباح.. ولما اطمئن الى سلامتها تنهد بارتياح وقال يحدث أغنامه..

ـ اذن هيا بنا ولكن حذار من الاسراع فقد وهن العظم مني ولم أعد قادرا على ملاحقتكم...

واتجه الى كبش عظيم بقرون ضخمة قوية وقال له:

ـ بهلول.. أسمعت ما أقول؟ اذن هيا.. توكلنا على الله..

وساق القطيع أمامه والكبش في المقدمة يسير بتؤده وعظمه وكأنه يعلم أنه السيد المطاع الذي يأتمر الجميع بأمره ويخافونه ويخافون شره.

وعندما بزغت الغزالة من خدرها وأشاعت النور والدفء كانوا قد وصلوا الى المروج الواسعة الغنية بما خلقه الرحمن ليكون غذاءا للحيوان الذي سخره لخدمة الانسان ليعيش على لحمه ويشرب من البانه ويساعده



في توفير كسائه ثم يعينه على عمله فسبحان من بيده ملكوت كل شيء. . .

وإختار الراعي لنفسه كوخا كان أقامه من الحشائش ليقيه وهج الشمس اذا ما اشتد لهيبها وقت الظهيرة أو ليغفو في ظله بعض الوقت ليريح من جسده المنهك المكدود. .

وبينما هو في خلوته هذه شاهد على البعد فهدا أرقط يطارد غزالة ويلاحقها وهي تفر أمامه محاولة النجاة من شره. . وقف الراعي ممسكاً بعصاه الثقيلة وإبتهل الى الله أن تتجه نحوه ليذود عنها ويحميها. . .

وإشتدت المطاردة والفهد العنيد لا يزال في عنفوان قوته مستمر في مطاردته للغزالة المسكينة التي أصابها الوهن وأخذت الشقة بينها وبين الجبار الذي يلاحقها تضيق شيئا فشيئا. .

هتف الراعي الذي شاهدها تتجه ناحيته مهددا الفهد بعصاه وأفسح



الطريق للغزالة فدخلت الى الكوخ واستلقت على الارض وأنفاسها لاهثة ودموعها سائلة. .

كان الراعي العجوز خبير في مثل هذه الأمور ويعلم متى يخاف الفهد ومتى يثور لذلك أمسك بعود حطب مشتعل من النار التي أوقدها ليعد طعامه وواجهه بشجاعه وجرأه. .

تسمر الفهد في مكانه وأخذ يتطلع اليه بنظرات مخيفة وهو يزمجر مهددا فتقدم منه الراعي ولوح بالعود الملتهب أمام عينيه ويمينه ممسكه بعصاه تأهبا للدفاع بها لو ركب الفهد رأسه وأصر على العراك. .

ولكن الفهد تراجع ثم إستدار ليهرب فلحقه الراعي بضربة من عصاه سقطت بين ضلوعه فعوى واندفع يسابق الريح مبتعدا حتى اختفى عن الأبصار. .

دخل الراعي الى الكوخ وشاهد الغزالة مستلقية وقد نال منها التعب مناله. . اسرع اليها بقليل من الماء فرواها وقال لها



ـ الحمد لله الذي نجاك من شر هذه البلية.. لماذا تركت القطيع وسرت في البراري وحيدة لتصبحي لأمثاله فريسة سهلة.. هيا اشربي حتى ترتوي وارعي مع أغنامي ومتى عدنا الى الواد ذهبت معنا فهناك المكان آمن...

شربت الغزالة ونظرت نظرة شكر من عينيها الكحيلة فقال ـ هيا الآن ارعي واشبعي ولكن لا تبتعدي كثيرا..

ومرة اخرى نظرت اليه الغزالة تلك النظرة المعبرة الطويلة وخرجت من الكوخ واندست بين النعاج ترعى في أمان والراعي يراقبها..

حتى اذا ما صلى صلاة العصر نهض من مكانه وهش على غنمه وساقها أمامه والغزالة تسير الى جواره لا تفارقه وقد طابت لها رفقته فكان في الطريق يناجيها ويتحدث اليها وكأنه يتحدث الى انسان يعي ويفهم ولا يتحدث الى حيوان أعجم لا يفهم ولا يعلم...

وأخيرا وصلوا الى الواد وأدخل الراعي قطيعه الى الحظيرة الكبيرة وأغلق بابها بعد أن امتنعت الغزالة عن الدخول بالرغم من محاولاته المتكررة..

نظر اليها وهي تقف جانبا تتأمله وقال

ـ لماذا رفضت الدخول.. إن أغنامي مثلي طيبه لا تثور وبينها كنت ستجدين الأنيس الذي يدخل على نفسك السرور..

وفكر الراعي برهة ثم اتجه نحو الدار ففتح بابها ودعاها للدخول فدخلت دون تردد وهو دهش من تصرفها الغريب...

واختارت لنفسها فراءا بسطه الراعي على الاريكة ورقدت هانئة سعيدة...



تطلع اليها باسما وقال

ـ أعجبك هنا المقام.. حبا وكرامة يا سيده الغزلان.. ستأنسين وحدتي وتشعريني بأنني لا زلت انسان ينطق ويتكلم.. ولكن ترى هل ستفهمين ما أقول؟.

كانت تنظر اليه بهدوء وسكينة فضحك وقال ـ ما أغباني.. متى فهم الغزال قول يقوله انسان..

وحان موعد النوم فرقد الراعي العجوز وقال

ـ نامي يا غزالة فإننا نخرج الى المرعى مبكرين.. تصبحين على خير..

ونام الراعي والغزالة في مكانها راقدة حتى اذا ما تعالى غطيطه وإرتفع شخيره نهضت من مكانها وإنتفضت فإذا هي شابه مليحة جميلة الصوره بادية العز والجاه...

خرجت من الغرفة الى الدار فوجدت كل ما فيها يعلوه الغبار والثياب متسخة والأواني عفنه والفوضى تعم وتشمل كل شيء..

إبتسمت وجلست القرفصاء وضربت الأرض براحتها ضربات خمس متتاليات وهي تردد

ـ مسعود يا مسعود.. احضر على الفور وبصحبتك أولادك فرهود وسمود وأصغرهم النمرود..

لم تكد تنتهي حتى ظهروا امامها وانحنوا لها اجلالاً واكبارا وكان مسعود شيخ وقور يرتدي من الثياب ما هو خليق بسكان القصور...

نظر حوله بدهشة وإستنكار وتأمل المكان برهه ثم قال

ـ مولاتي الملكة نفوس ما الذي أتى بك الى هذا المكان القذر المنحوس

أجابته باسمه

ـ لذلك قصة يا وزيري ستعلمها فيما بعد.. . ما أريده الآن هو أن يستحيل هذا المكان الى جنة من الجنان.. بدلوا فيه حتى البنيـان.. بالفرش الفاخر زودوه بكل غال ونفيس زينوه بالمؤن والطعام الكثـير املأوه..

وفي لمح البصر إستحال الكوخ الخرب الى قصر جميل نظيف وبقيت حجرة الراعي لم تمس فسألها مسعود.

ـ وماذا عن هذا المكان.. هل سيبقى على حاله..



هزت الملكة نفوس رأسها باسمة وقالت

ـ احملوه برفق وحذار أن يقلقوه... في الفراش اللين أرقدوه وفي هذا المكان هيئوا له من الطب والأطباء ما يعيده الى عهد الشباب.. لا تخيفوه ولا ترعبوه...

انحنى الوزير حتى كادت رأسه أن تمس الأرض وقال

ـ أمرك مطاع وسيتم تنفيذه في الحال.

واستحالت الغرفة الى حمام فاخر فيه يجري الماء الساخن وقد فرشت جوانبه بالأرائك وعلى مائدة من رخام ازدحمت القوارير والمراهم



ودعاها مسعود فألقت على المكان نظرة ارتاحت لها نفسها وقالت

ـ بقى علينا البستان والحظيرة... أريده بستانا تتوسطه بحيرة جميلة أريد فيه من الفاكهة كل ما أنبتته الأرض ومن الأزهار ما يسكر لشذاه الراهب الزاهد..

سألها فرهود

ـ وماذا عن الأغنام يا مولاتي..

إبتسمت الملكة وقالت

ـ اريد لها حظيرة نظيفة.. بالماء اغسلوها ونظفوها وبالشعير والفول اتخموها فلولاها ما كنت اليوم الا سبية وفي قصر اللعين سجينه لا أبرحها حتى أصبح له زوجه..

استشاط مسعود غضبا ونظر الى ولده النمرود وقال

أسمعت ما قالت الملكة..؟ أن أحذرك مراد من هذا الفداد الذي لا يرعى حرمه ولا يبقى على جاد..؟ اذهب في الحال وفي جيش جرار وآتني به حيا أو ميتا والويل لك لو عدت بدونه..

انحنى النمرود باحترام أمام الملكة وقال

ـ سوف يذوق على يدي كأس المذلة والهوان ولو لم تمنعني مولاتي من مهاجمته لكان في خبر كان ولا تجرأ يوما على مطاردة ذاتك البهية...

أجابته الملكة

ـ لا حاجة لك بالعساكر والدساكر والجيوش ستجده طريح الفراش شبه كسيح فقد ناله بعصاه وبضربة واحدة فكك عظامه فشرد وتاه.. لو كان على هذه الحال ترفقوا به واحملوه الى قصري فهناك سيكون الحساب بعد أن يشفى ويصبح قادرا على الذود عن نفسه..

سألها الوزير مسعود

ـ هل آمر بالعنقاء لتحملك يا مولاتي..

هزت رأسها وانتفضت فعادت كما كانت غزالة وقالت

ـ لن يعلم حقيقة أمري قبل أن يعود شابا قويا فأظهر من خلفه ما أخفته السنين وطوته في داخله الأيام... فقط زودوني بأريكه مريحه فقد زكمت أنفاسي رائحة الفراء التعيسة...

وفي جانب من حجرة الراعي فرشت لها أريكة من الحرير الناعم فرقدت عليها ونامت قريرة وهي تتأمل الراعي في ثيابه الزاهية الجميلة التي ألبسوها له وهو غارق في ثباته يناجي بصوت مسموع كبشه ونعاجه...

* * *

تنبه الراعي قبل إنبلاج الصباح وإستهل يومه بقوله المأثور مسبحا بحمد ربه الوهاب خالق الحياه وموزع الأرزاق..

قال

ـ أصبحنا واصبح الملك لله وحده.. سبحان مالك الملك... سبحان الواحد الأحد.. سبحان الفرد الصمد.. لا اله الا انت عليك توكلت وبك آمنت واليك المآب...

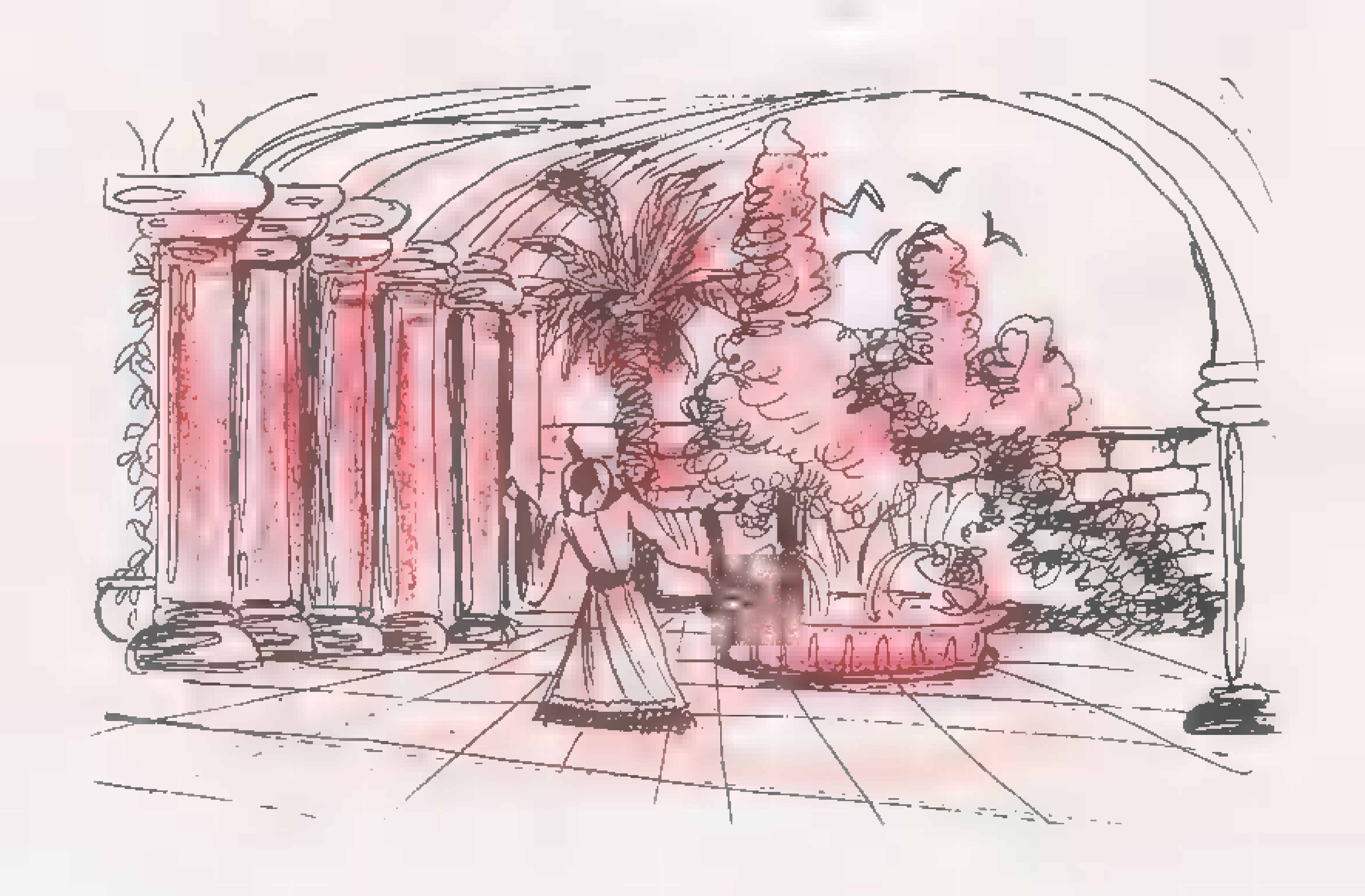
وفتح عينيه وحملق حوله بذهول.. فرك عينيه براحتيه فتسربت الى أنفه رائحة جميلة مبعثها تلك الثياب القشيبة.. أخذ يتحسس نفسه والفراش ثم قفز الى الأرض فغاصت قدمه في سجادة كبيرة... تأمل ما حوله وقال مشدوهاً.



ـ أفي حلم أنا ولم أستفق. . ؟

وأخذ يضرب فخذه بيده ضربات متتالية والغزالة متظاهرة بالنوم وهي تبتسم لدهشته وحيرته. . تقدم من الباب وفتحه ووقف في مكانه فاغرا فاه من شده الدهشة والذهول. . وأخذ يعدو يمينا يفتح كل باب ليزداد مع كل خطوه دهشة ويقينه أنه بقدرة خفية قد حمل من كوخه وأدخل الى قصر السلطان فإن ما يراه ويقع عليه بصره لا يوجد الا هناك. . . ولكن كيف. . . ؟ ومن فعل فيه هذه الفعلة النكراء. ؟ ـ سرعان ما يكتشفون أمره وينال من ضرب السياط ما يمزق منه الجلد والعظام. . .

فتح باب أمامه فبهره بستان لا يحده البصر فيه ،من كل ما تشتهي



الأنفس وعبيق الأزهار يضفى على المكان خدرا ترغ له بسرور فإنه يعشق الزهر ويحب رائحة الزهور.

ولكن سرعان ما استفاق من نشوته وقرر أن يهرب من المكان ويعود الى غنمه ومكانه المتواضع الغلبان . . ولما هم بالركض سمع صوتا سحره في الأرض. . لو أخطأت عينه وجميع حواسه فلن تخطأ أذنه صوت كبشه بهلول . .

إستدار حول المكان ولف فيه ودار متتبعا مصدر الصوت حتى وقف أمام باب حظيرة من الرخام أسوارها وسقوفها وسمع نداء بهلول ففتح الباب ودخل ليراه أمامه وقد تبدل حاله فهتف به مشدوها:

ـ بهلول . . أنت أيضا . . وأين النعاج .؟

وتلفت ينظر حوله فإذا النعاج في حلة قشيبة وقد غسلت شعورها ورجلت ترجيلا والى جانب شاهد أحواضا من البلور يشتهي ان يشرب منها العصفور ، وعلى مقربة مزاود من خشب الحور فيها تكدس الشعير والفول المقشور . .

ضرب كفاً بكف وقال:

ـ أنا اذن لا أحلم وليس ما أراه خيال . . هل جننت ويخيل لي ما أرى ؟. ولكن هذا بهلول أراه وألمس قرنية وهذه نعاجه التي يعرف عددها . .

وأخذ يحصيها الواحدة بعد الأخرى حتى انتهى من عدّها وقال .

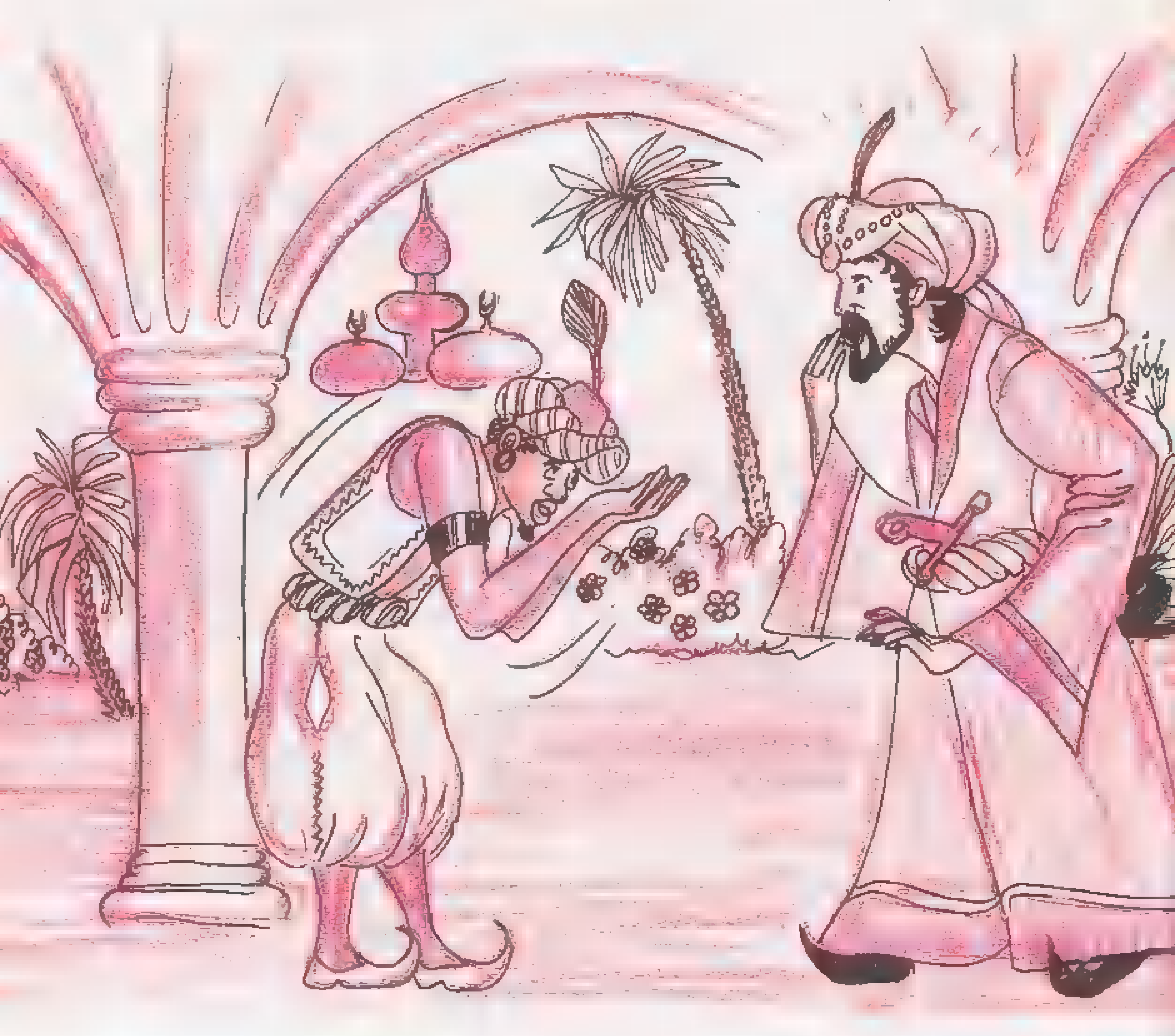
ـ العدد كامل غير منقوص اذا فلماذا ألف وأحوص . . بقى أمر واحد . الغزالة . . أين ذهبت الغزالة . .؟

وعاد أدراجه الى حيث كان وعلى أريكتها شاهدها غارقة في النوم وأنفاسها تتردد بهدوء . .

ضرب كفا بكف وقال :

ـ إن كان هذا هو الحال وانتقلت بقدرة منه الى ما هو في نظري أمر محال فلا أقل من أن أصلي الى الله شاكرا أفضاله وأسعى المطعام فإنني جائع هفتان . .

وقبل أن يتحرك من مكان دخل عبد في لون الليل البهيم يرتدي ثيابا من الحرير الأحمر الثمين وعمامة بيضاء تزينها ريشة سمراء وانحنى أمامه باحترام وقال :



ـ تفضل مولاي الى الحمام . .

أسرع اليه وأمسكه من كتفيه وهزه بقوة وقال :

ـ أنا مولاك يا هذا .؟ تأكد مني أنا هو.؟!

نظر اليه العبد باحترام وقال :

ـ سيدي ومولاي . .

لم يفلته وعاد يهزه بعنف :

ـ سيدك أنا ومولاك ؟. تأكد يا صديقي ففي الأمر لا شك سر سيبليني ويبلاك فلن أفلتك من يدي اذا سألوني قلت أنك قلت عني ذاك . .

ولحق بالعبد عبد آخر وانحنى وقال :

ـ تفضل يا مولاي فقد كثر في الحمام البخار. .

سار بينهما كالمسحور واستسلم لأيادي تلك تحمم وتلك تدلك وهذه تضمخه بالعطور ومع كل لحظة يحس احساسا غريبا . . انه لم يعد منهكا ولم يعد يحس بالخور . . ماذا دهاه لقد إشتد عوده وانتصب وعيناه اللكليلتان تفتحتا وفمه الخاوي عاد وامتلأ . .

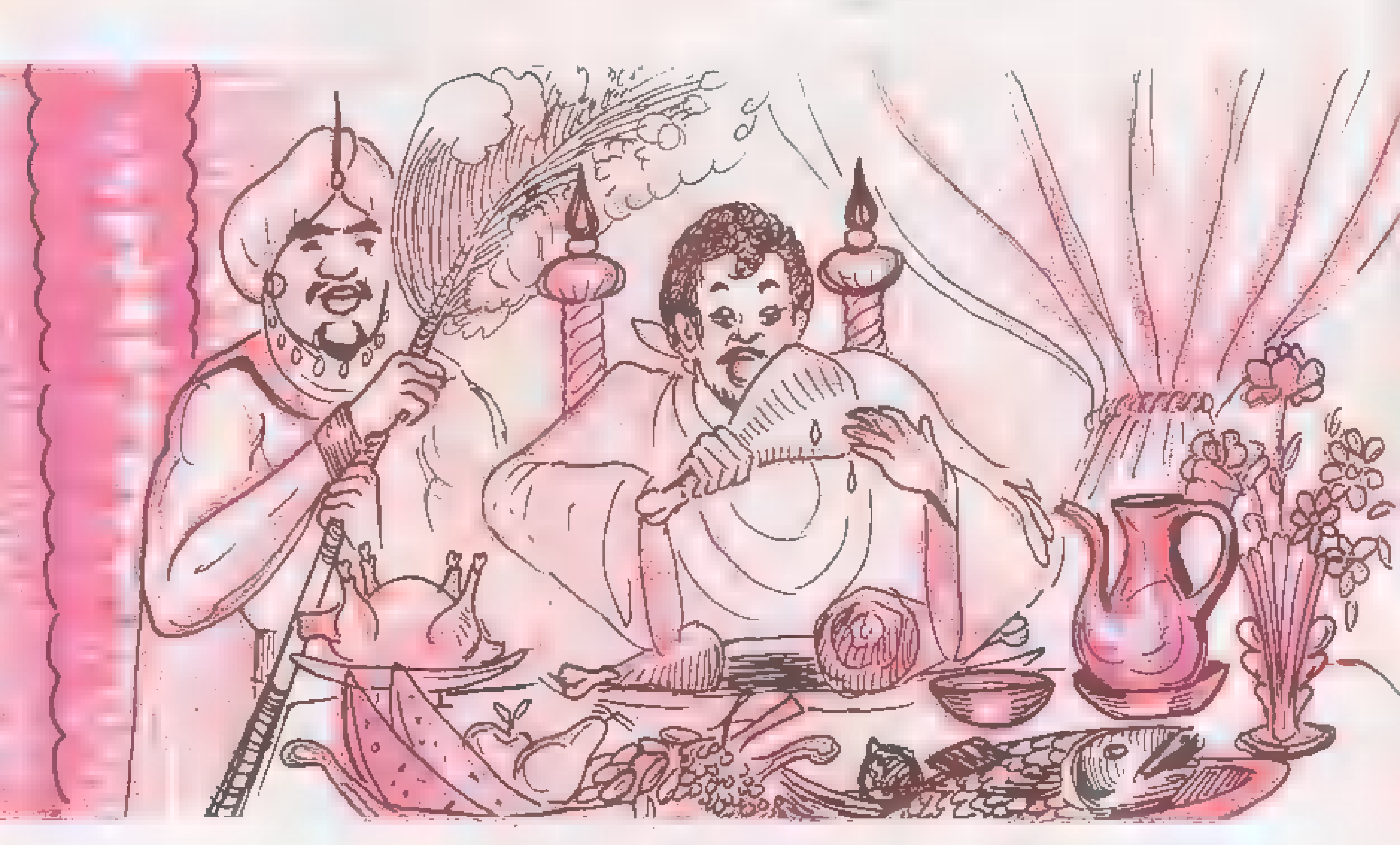
وصدره برز وعضلات يديه تحجرت ومنها ما برز . .

ثم حملوه الى ماء حار يفح منه رائحة ذكية وتسلمته فيه أيد خفية أخذت تدلكه برفق وروية ثم تولاه نفر من الخدم فجففوه وألبسوه لباسا لا يليق الا بالملوك وعلى رأسه وضعوا عمامة زافتها ماسة على صوره حبة توت . .

وغادر الحمام فإذا بمرآة في صدر المكان عكست صورته فإذا هو في سن الثلاثين عندما كان قوياً ساخراً وقبلة للناظرين.. نسي كل شي رمى بالشك في كل شي إلاّ هذا اليقين. لقد عاد إليه شبابه وكامل قوته وحتى أسنانه القوية عادت ناصعة ماضية..

خرج من الحمام الى مائدة مدت وعليها كل ما لذ وطاب ما يعرفه وما لم يعرف طعمه أو صورته .. أكل وأكل بشهية ثم شرب من شراب العناب حتى ارتوى وخرج ليلقي نظرة على البستان ولكنه لم ينسى الغزالة فقال :

ـ اعددتم للخراف والنعاج ما يتمناه لنفسه الانسان فأين نصيب جالبة السعد هذه من كل هذا .؟ اطعموها لوزا وفستق وأسقوها من ماء الورد والزهر فقد قدمت ومن ركابها جاء المجد والسؤدد فكيف تتجاهلون أمرها ولا تذكرون فضلها..؟



سارت خلفه الغزالة تسير في البستان بوداعة وعند حافة البحيرة جلس الى مجلس مريح يتأمل ما حوله بلذة وسرور وفجأة اختفت الغزالة من أمام ناظريه وكأن الأرض انشقت وابتلعتها فهب من مكانه مذعورا وراح يعود يمينا ويسارا وهويناديها بحرارة وفجأة سمع من تقول :

ـ أيناديني مولايّ . .

نظر الى حورية تخجل القمر وهي ترنو اليه غاضبة البصر ولهث يقول :

ـ اني أبحث عنها . .

أجابته :

ـ عن الغزالة يا مولاي . ؟

قال بدهشة :

ـ مولاك أنا ؟ يا مولاتي أرجوك اسمعيني فأنا ما أنا الا . . .

قاطعته بابتسامة ساحرة وتقدمت وأمسكت بيده وأجلسته وقالت :

ـ أليس عجيبا أن أجهل اسم منقذي ومن سيكون سيدي ونصيبي . .

حملق فيها بدهشة وذهول ولسان حاله يقول:

ـ وقعت في قصر مجانين وبعد قليل ليكبرون من شأني حتى أصبح ملك عظيم . .

قال يجيبها :

ـ اسمي سعد وأنا لست مولاك يا أميرة . . أنا راع وكان أبي راع ومن قبلنا كان جدي وجد جدي . .

ضحكت وقالت :



ـ لم تسألني من أكون يا سعد . ؟

أجابها باحترام :

ـ لا شك أنك أميرة عظيمة أو ملكة جليلة . .

قالت بهدوء :

ـ نعم يا سعد . . أنا الملكة نفوس التي عرفتها في هيئة غزالة وهببت للدفاع عنها بشجاعة وجسارة وأنقذتها من عدو لدود هو الساعة يعاني من ضربك له بتلك العصا التي كسرت منه العظام وحرمت عليه الرقود . .

أجابها وهو ينحني باحترام :

ـ مولاتي . . والله ما فعلت الا لحب دخل فؤادي لتلك الغزالة . .

إبتسمت وقالت :

ـ اذن متى أتى المساء دعونا الأهل والأقرباء ليحضروا عرس سعد الى غزالة التي أحببتها . .

تمت

الرسوم والإخراج : عبد الرحمن القاروط

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وطاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت طاطش
- زهرات والمارد الغضبان
- يا ليل يا عين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٢٨٩ - برقياً: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها